# من أشعار المقاومة

أحمد فؤاد نجم
محمود درويش
أمل دنقل
مظفر النواب

مركز الدراسات الاشتراكية
2000

- اسم الكتاب: من أشعار المقاومة
- بقلم: الشعراء (أحمد فؤاد نجم . محمود درويش . أمل دنقل . مظفر النواب)
- تصميم الغلاف: هبة حلمي
- الناشر: مركز الدراسات الاشتراكية
- الطبعة الأولى: ديسمبر 2000
- رقم الإيداع بدار الكتب: 18022/ 2000

-

# فـهـرس

# إهــــــــــــداء ..

إلى شهداء الانتفاضة الفلسطينية وأبطالها..

إلى طُلاب الجامعات المصرية..

إلى مُظاهرات طُلاب المدارس الثانوية والإعدادية والابتدائية التي غطت الشوارع والميادين هادرة: بالروح .. بالدم .. نفديك يا فلسطين.

إلى قلاع التضامن مع الانتفاضة الفلسطينية الباسلة في نقابة المحامين ونقابة الصحفيين وجميع النقابات المهنية..

إلى زهور المستقبل.. مستقبل الجماهير.. نُهدى أشعار المقاومة إلى كل مقاوم حتى النصر.

مركز الدراسات الاشتراكية
مدير المركز: كمال خليل

-

# مـقــدمــة

في أواخر شهر سبتمبر الماضي، أفاقت الشعوب العربية على انتفاضة الشعب الفلسطيني التي أيقظت لدى الجميع فجأة، وفى غضون أيام قليلة، الوعي الجماعي الذي أعلنوا موته، كان حياً، قوياً، فتياً، يتظاهر على ألسنة الشبان والشابات على امتداد الدول العربية جميعها من المحيط إلى الخليج .

أيقظت الانتفاضة الفلسطينية فى لحظة واحدة كل القضايا الكبرى التي حاولوا دفنها، الصراع العربي الإسرائيلى، قضايا الاستعمار والإمبريالية، طبيعة وحدود الأنظمة الحاكمة، ، الروح الأممية والتضامن بين الشعوب، البدائل التي يقدمها القوميون والماركسيون والإسلاميون، نزلت الجماهير العربية إلى الشارع متحدية رجعية وقمع الحكومات العربية، ونزلت معها شعارات جديدة وتوجهات جديدة قديمة لازالت حية ومطروحة ومطالبة بحلول.

فرضت حركة الجماهير أجندة جديدة على جميع وسائل الإعلام القائمة، وتحولت المقاهي والأتوبيسات والساحات العامة والشقق

السكنية والمدارس والمعاهد والجامعات إلى ساحات نقاش حر. لم يعد أحد ينتظر إجابة الإعلام بل صارت الجماهير تضع بنفسها إجابات

على الأسئلة الهامة المطروحة مثل: لماذا لن تحارب تلك الأنظمة، إلى أية درجة تعد هذه الحكومات عميلة أو خائنة، ما الحل الحقيقي لقضايا الصراع في المنطقة..؟. وغير ذلك.

لذا رأينا أنه من الضروري أن نقدم في هذا الكتيب مجموعة من الأشعار التي هزت وجدان أجيال مضت، ولكن في ظل اتفاقية كامب ديفيد و طرح مشروع الاستسلام كبديل للمقاومة، تباعد كل التراث الثوري في الفن والشعر عن جيل كامل صاعد لم تتح له فرصة التعرف على أدبيات و ثقافات غير تلك التي تقدمها لهم أجهزة الإعلام .

والشعراء الذين نقدمهم في تلك المجموعة يمثلون أساليب فنية وجمالية مختلفة، لكنهم جميعاً ارتبطوا بنضالات جماهير شعوبهم، جعلوا قصائدهم موقفاً ثورياً ونضاليا، قصائد ضد الحاضر القبيح سعياً إلى بديل أجمل.

القصائد التي نقدمها لهؤلاء الشعراء الكبار تجمع ما بين مظفر النواب العراقي المطارد الذي كانت أشعاره صرخة احتجاج ضد الواقع السياسي العربي التعيس.

ومحمود درويش الذي ارتبط بالحزب الشيوعي الفلسطيني وبنضالات الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال. وعاش تجربة الغربة كلاجئ يعيش بعيداً عن وطنه، بلغته الشعرية المتميزة التي شكلت ملامح جيل تأثر به.

وأمل دنقل الذي يحمل وعيا ثورياً ينحاز إلى نضالات الجماهير ، ويوظف التراث العربي ليكشف تناقضات اللحظة الراهنة . . ويرحل أمل دنقل تاركاً وصيته للجماهير العربية :

لا تصالح ولو منحوك الذهب .. لا تُصالح ولو توجوك بتاج الإمارة.. لا تُصالح على الدم حتى بدم .. لا تُصالح ولو قيل رأس برأس .. ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام ...............

أما أحمد فؤاد نجم شاعر العامية الشعبي المنحدر من صلب بيرم التونسى، فهو بسيط وجرئ وحالم التقط مفتاح الوجدان الشعبي فكان علامة ارتبطت بالمظاهرات والسجون والمنع .

وعلى أشعار نجم وألحان الشيخ إمام عيسى تجمع العشاق فى سجن القلعة على (يعيش أهل بلدى وبينهم مفيش تعارف يخلى التحالف يعيش ) و غنوا معاً ( عُمال وفلاحين وطلبة دقت ساعتنا وابتدينا) وخرجوا من السجون عازفين أشعار المقاومة (ونعمر العيارين ونطخ راس المال .. والأولة آه والثانية آه ......... ) .

لقد اخترنا هذه القصائد ليقرأها الجيل الجديد من الشباب الذي لم يتذوق مرارة الحرب ولم تخدعه أوهام السلام .كما نهديها إلى شهداء الانتفاضة الفلسطينية الباسلة وأبطالها الذين يمثلون بشائر ربيع قادم بعد أن وصلت الأنظمة الحاكمة إلى خريفها السياسي.

-

# أحمد فؤاد نجم

## رجعوا التلامذة

رجعوا التلامذة

يا عم حمزة

للجد تانى

يا مصر دا انتى اللى باقية

وأنتى.. قطف الأمانى

لاكوره نفعت

ولا أونطة

ولا المناقشة

وجدل بيزنطة

ولا الصحافة والصحفجية

شغلوا شبابنا عن القضية

قيموا لنا صهبة

يا صهبجية

وسمعونا طعم الأغانى

* * *

رجعوا التلامذة

ورد الجناين

اسمع يا ميلص

وشوف وعاين

ملعون أبوك

ابن كلب خاين

يا صوت أمريكا

يا أمريكانى

-

# صبـاح الـخيـر

صباح الخير.. على الورد اللى فتح

فى جناين مصر

صباح العندليب يشدى

بألحان السبوع يا مصر

صباح الدايه واللفة

ورش الملح فى الزفة

صباح يطلع بأعلامنا

من القلعة.. لباب النصر

سلامتك يامه يا مهرة

يا حباله.. يا ولادة

سلامة نهدك المرضع

سلامة بطنك الخضرا

سلامتك من آلام الحيض

من الحرمان.. وم القهرة

هناكى.. وفرحة الوالدة

تضمى الولد يا والدة

يصونهملك.. ويحميهم

يكبرهم .. يخليهم

يجمع شملهم بيكى

يقرب فرحتك بيهم

صباح الخير على ولادك

صباح الياسمين والفل

يعيشوا.. ويفنوا حسادك

ويسقوهم كاسات الذل

وبلغ.. يا سمير غطاس

يا ضيف المعتقل سنوى

بصوتك دا اللى كله نحاس

صباح الخير على الثانوى

وأهلا بيكوا فى القلعة

ويللى فى الطريق جايين

-

مادامت مصر ولادة
وفيها الطلق والعادة
ها تفضل.. شمسنا طالعة
برغم القلعة.. والزنازين
صباح الخير.

-

# علـى الأرغـول

أصلى عالنبى قبل البداية

نبى عربى مشفع فى البرايا

واسلم بالوتر والقوس عليكم

يا كل السايرين عالشوك معايا

يقول الشاعر المجروح فؤاده

من الأندال.. ومن عشق الصبايا

رضانا بالقليل.. والخوف.. رمانا

بحكام المواكب.. والهفايا

وإيه بعد المسيرة الهاشمية

على درب الخيانة للنهاية

وبيع الأرض.. بالعرض لعدوى

على عينك يا تاجر فى المراية

* * *

يا شعب العرب.. يا بن الفوارس

يا رافع للنضال بيرق وراية

يا واهب للزمان أيام وضيئة

بنور البذل والجود والعطايا

صلاح الدين ينادى.. من منامته

على النايمين.. على دم الضحايا

لا أنا منكم.. ولا أنتم من ولادى

إذا رضيتوا بغير النصر غاية

وغير الحرب تحسم فى المسائل

وتفصل فى المشاكل.. والقضايا.

-

# يـــا فـلـسطـيـنـيـة

يا فلسطينية والبندقانى رماكوا

والصهيونية تقتل حمامكوا فى حماكوا

يا فلسطينية وأنا بدى أسافر حداكوا

تارى فى ايديا.. وايديا تنزل معاكوا

على راس الحية.. وتموت شريعة هولاكوا

* * *

يا فلسطينية والغربة طالت كفاية

والصحرا آنت م اللاجئين والضحايا

والأرض حنت للفلاحين والسقايا

والثورة غاية.. والحرب أول خطاكوا

* * *

يا فلسطينية فيتنام عليكوا البشارة

بالنصرة طالعة من تحت ميت ألف غارة

والشمعة والعه.. والامريكان فى الخسارة

راجعين حيارى.. عقبال ما يحصل حداكوا

* * *

يا فلسطينية والثورة هى الأكيدة

بالبندقية.. نرسم حياتنا الجديدة

والسكة مهما طالت وبانت بعيدة

مد الخطاوى هو اللى يسعف معاكوا

-

# مــر الــكـلام

مر الكلام

زى الحسام

يقطع مكان ما يمر

أما المديح

سهل ومريح

يخدع.. لكين بيضر

والكلمة دين من غير ايدين

بس الوفا عالحر.

-

# محمود درويش

## عن إنسان

وضعوا على فمه السلاسل

ربطوا يديه بصخرة الموتى،

وقالوا: أنت قاتل !

* * *

أخذوا طعامه، والملابس، والبيارق

ورموه فى زنزانة الموتى

وقالوا: أنت سارق!

* * *

طردوه من كل المرافئ،

أخذوا حبيبته الصغيرة،

ثم قالوا: أنت لاجئ !

* * *

يا دامى العينين، والكفين

إن الليل زائل

لا غرفة التوقيف باقية

ولا زرد السلاسل

نيرون مات، ولم تمت روما..

بعينيها تقاتل

* * *

وحبوب سنبلة تموت

ستملأ الوادى سنابل.. !

-

## عن الأمنيات

لا تقل لى:

ليتنى بائع خبز فى الجزائر

لأغنى مع ثائر !

لا تقل لى:

ليتنى راعى مواشٍ فى اليمن

لأغنى لانتفاضات الزمن !

لا تقل لى:

ليتنى عامل مقهى فى هافانا

لأغنى لانتصارات الحزانى !

لا تقل لى:

ليتنى أعمل فى أسوان حمالا صغيراً

لأغنى للصخور !

* * *

يا صديقى

لن يصب النيل فى الفولجا

ولا الكونغو، ولا الأردن..

فى نهر الفرات !

كل نهر، وله نبع.. ومجرى.. وحياة !

يا صديقى .. أرضنا ليست بعاقر

كل أرض، ولها ميلادها

كل فجر، وله موعد ثائر!

-

# من قصيدة (قتلوك في الوادي)

أهديك ذاكرتى على مرأى من الزمن

أهديك ذاكرتى

ماذا تقول النار فى وطنى

ماذا تقول النار؟

هل كنت عاشقتى

أم كنت عاصفة على أوتار؟

وأنا.. غريب الدار فى وطنى

غريب الدار.

* * *.

أهديك ذاكرتى على مرأى من الزمن

أهديك ذاكرتى

ماذا يقول البرق للسكين

ماذا يقول البرق

هل كنت فى حطين

رمزا لموت الشرق

وأنا صلاح الدين

أم عبد الصليبيين؟

أهديك ذاكرتى على مرأى من الزمن

أهديك ذاكرتى

ماذا تقول الشمس فى وطنى

ماذا تقول الشمس

هل أنت ميتة بلا كفن

وأنا بدون القدس؟

* * *

طلعت من الوادى

يقال تضاءل الوادى وغاب

وجمالها السرى لف سنابل القمح الصغيرة

حل أسئلة التراب

هل تذكرون الصيف يا أبناء جيلى

يا كل أزهار الجليل

-

وكل أيتام الجليل

هل تذكرون الصيف يصعد من أناملها

ويفتح كل باب.

قالت بنفسجة لجارتها

عطشت.. وكان عبد الله يسقينى

فمن أخذ الشباب من الشباب؟

طلعت من الوادى

وفى الوادى تموت..

ونحن نكبر فى السلاسل

طلعت من الوادى مفاجأة

وفى الوادى.. تموت على مراحل

ونمر عنها الآن جيلاً بعد جيل

ونبيع زيتون الجليل بلا مقابل

ونبيع أحجار الجليل

ونبيع تاريخ الجليل

ونبيعها

كى نشترى فى صدرها شكلاً

لمقتول يقاتل.

* * *

لم أعترف بالحب عن كثب

فليعترف موتى

وطفولتى – طروادة العرب

تمضى .. ولا تأتى

كل الخناجر فيك فارتفعى

يا خضرة الليمون

وتوهجى فى الليل.. واتسعى

لبكاء من يأتون

الريح واقفة على خنجر

ودماؤنا شفق

لا تحرقى منديلك الأخضر

الليل يحترق

طوبى لمن نامت على خشبة

ملء الردى.. حية

طوبى لسيف يجعل الرقبة

أنهار حرية!

لم نعترف بالحب عن كثب

فليغضب الغضب

نمشى إلى طروادة العرب

والبعد يقترب

* * *

لا تذكرينا

حين نفلت من يديك

إلى المناطق الواسعة

إنا تعلمنا اللغات الشائعة

ومتاعب السفر الطويل

إلى خطوط الاستواء

والنوم فى كل القطارات البطيئة والسريعة

والحب فى الميناء

والغزل المعد لكل أنواع النساء

إنا تعلمنا صداقة كل جرح

والحساء بدون ملح

* * *

لا تذكرينا

حين نفلت من يديك إلى السجون

إنا تعلمنا البكاء بلا دموع

وقراءة الأسوار والأسلاك والقمر الحزين

حرية

وحمامة

ورضا يسوع

وكتابة الأسماء

عائشة تودع زوجها

وتعيش عائشة

-

تعيش.. روائح الدم والندى والياسمين

*	*	*

ولتذكرينا

حين نبحث عنك تحت المجزرة

وليبق ساعدك المطل على هدير البحر

والدم فى الحدائق.. وعلى ولادتنا الجديدة

قنطرة !

ولتبق كل زنابق الكف النبية فى حديقتها

فإنا قادمون

من يشترى للموت تذكرة سوانا

اليوم.. من !

نحن اعتصرنا كل غيم خرائط الدنيا

وأشعار الحنين إلى الوطن

لا ماؤها يروى ولا أشواقها تكوى

ولا تبنى وطن.

ولتذكرينا

نحن نذكرك اخضراراً طالعا من كل دم

طين.. ودم

شمس.. ودم

زهر.. ودم

ليل.. ودم

وسنشتهيك وأنت طالعة من الوادى

ونازلة..

إلى الوادى

غزالا.. سابحا.. فى حقل دم

دم

دم

دم

-

# المقطع الثالث من قصيدة مزامير

يوم كانت كلماتى

تربة..

كنت صديقا للسنابل.

يوم كانت كلماتى

غضبا..

كنت صديقا للسلاسل

يوم كانت كلماتى

حجراً...

كنت صديقاً للجداول.

يوم كانت كلماتى

ثورة..

كنت صديقا للزلازل.

يوم كانت كلماتى

حنظلاً..

كنت صديقا للمتفائل.

حين صارت كلماتى

عسلا..

غطى الذباب

شفتى !

-

# هـويــة

سجل !

أنا عربى

ورقم بطاقتى خمسون ألف

وأطفالى ثمانية

وتاسعهم.. سيأتى بعد صيف!

فهل تغضب؟

* * *

سجل

أنا عربى

وأعمل مع رفاق الكدح فى محجر

وأطفالى ثمانية

أسل لهم رغيف الخبز،

والأثواب والدفتر

من الصخر..

ولا أتوسل الصدقات من بابك

ولا أصغر

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب؟

سجل!

أنا عربى

أنا اسم بلا لقب

صبور فى بلاد كل ما فيها

يعيش بفورة الغضب

جذورى..

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

.. وقبل ترعرع العشب

أبى .. من أسرة المحراث

لا من سادة نجب

-

وجدى كان فلاحاً

بلا حسب.. بلا نسب!

وبيتى.. كوخ ناطور

من الأعواد والقصب

فهل ترضيك منزلتى؟

أنا اسم بلا لقب !

* * *

سجل

أنا عربى

ولون الشعر.. فحمى

ولون العين.. بنى

وميزاتى:

على رأسى عقال فوق كوفية

وكفى صلبة كالصخر..

تخمش من يلامسها

وعنوانى:

أنا من قرية عزلاء.. منسية

شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها.. فى الحقل والمحجر

فهل تغضب؟

* * *

سجل

أنا عربى

سلبت كروم أجدادى

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادى

ولم تترك لنا.. ولكل أحفادى

سوى هذى الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم.. كما قيلا !؟

إذن سجل..

برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكنى.. إذا ما جعت

آكل لحم مغتصبى

حذار.. حذار.. من جوعى

ومن غضبى

-

# أمل دنقل

## تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات

**-1-**

قلت لكم مرارا

إن الطوابير التى تمر..

فى استعراض عيد الفطر والجلاء

(فتهتف النساء فى النوافذ انبهارا)

لا تصنع انتصارا.

إن المدافع التى تصطف على الحدود، فى الصحارى

لا تطلق النيران.. إلا حين تستدير للوراء.

إن الرصاصة التى ندفع فيها.. ثمن الكسرة والدواء:

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا.. إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا، وتقتل الصغارا !

**-2-**

قلت لكم فى السنة البعيدة

عن خطر الجندى

عن قلبه الأعمى، وعن همته القعيدة

يحرس من يمنحه راتبه الشهرى

وزيه الرسمى

ليرهب الخصوم بالجعجعة الجوفاء

والقعقعة الشديدة

لكنه.. إن يحن الموت..

فداء الوطن المقهور والعقيدة:

فر من الميدان

وحاصر السلطان

واغتصب الكرسى

وأعلن "الثورة" فى المذياع والجريدة!

-

-3-

قلت لكم كثيراً

إن كان لابد من هذه الذرية اللعينة

فليسكنوا الخنادقَ الحصينة

(متخذين من مخافر الحدود.. دوُرا)

لو دخل الواحدُ منهم هذه المدينة:

يدخلها.. حسيرا

يلقى سلاحه.. على أبوابها الأمينة

لأنه.. لا يستقيم مَرَحُ الطفل..

وحكمة الأب الرزينة..

من المُسَدسّ المدلّى من حزام الخصر..

فى السوق..

وفى مجالس الشورى

* * *

قلت لكم..

لكنكم..

لم تسمعوا هذا العبث

ففاضت النار على المخيمات

وفاضت.. الجثث!

وفاضت الخوذات والمدرعات

**سبتمبر 1970**

## سفـــر الـــتـــكـــويـــن

### (الإصحاح الأول)

فى البدء كنت رجلا.. وامرأة.. وشجرة.

كنتُ أباً وابنا.. وروحاً قدُسا.

كنتُ الصباحَ.. والمسا..

والحدقة الثابتة المدورة.

... ... ...

وكان عرشى حجراً على ضفاف النهر

وكانت الشياه..

ترعى، وكان النحلُ حول الزهرُ..

يطنُّ والإوزُّ يطفو فى بحيرة السكون،

والحياة..

تنبضُ – كالطاحونة البعيدة!

حين رأيت أن كل ما أراه

لا ينقذُ القلبَ من الملل!

* * *

(مبارزاتُ الديكة

كانت هى التسلية الوحيدة

فى جلستى الوحيدة

بين غصون الشجر المشتبكة!)

### (الإصحاح الثانى)

قلتُ لنفسى لو نزلت الماء.. واغتسلت.. لانقسمت!

(لو انقسمت.. لازدوجت.. وابتسمتْ)

وبعدما استحممت..

تناسجَ الزهرُ وشاحاً من مرارة الشفاهْ

لففتُ فيه جسدى المصطكّ.

(وكان عرشى طافيا.. كالفلك)

ورف عصفور على رأسى؛

وحط ينفض البلل.

حدقت فى قرارة المياه..

-

حدقت؛ كان ما أراه..

وجهى.. مكللا بتاج الشوك!

## (الإصحاح الثالث)

قلتُ: فليكن الحبُ فى الأرض، لكنه لم يكن!

قلتُ: فليذهب النهرُ فى البحرُ، والبحر فى السحبِ،

والسحب فى الجدبِ، والجدبُ فى الخصبِ، ينبت

خبزاً ليسندَ قلب الجياع، وعشباً لماشية

الأرض، ظلا لمن يتغربُ فى صحراء الشجنْ.

ورأيتُ ابن آدم – ينصب أسواره حول مزرعة

الله، يبتاع من حوله حرسا، ويبيع لإخوته

الخبز والماء، يحتلبُ البقراتِ العجاف لتعطى اللبن.

* * *

قلتُ فليكن الحب فى الأرض، لكنه لم يكن.

أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمن!

.. .. .. .. ..

ورأى الربُّ ذلك غير حسنْ!

***

قلت: فليكن العدلُ فى الأرض؛ عين بعين وسن بسن.

قلت: هل يأكل الذئب ذئباً، أو الشاه شاة؟

ولا تضع السيف فى عنق اثنين: طفل.. وشيخ مسن.

ورأيتُ ابن آدم يردى ابن آدم، يشعل فى

المدن النارَ، يغرسُ خنجرهُ فى بطون الحواملِ،

يلقى أصابع أطفاله علفا للخيول، يقص الشفاه

وروداً تزين مائدة النصر.. وهى تئن.

أصبح العدل موتاً، وميزانه البندقية، أبناؤهُ

صلبوا فى الميادين، أو شنقوا فى زوايا المدن.

قلت: فليكن العدل فى الأرض.. لكنه لم يكن.

أصبح العدل ملكاً لمن جلسوا فوق عرش الجماجم بالطيلسان –

الكفن!

... ... ...

ورأى الرب ذلك غير حسنْ!

*   *   *

قلت: فليكن العقل فى الأرض..

تصغى إلى صوته المتزن.

قلت: هل يبتنى الطير أعشاشه فى فم الأفعوان،

هل الدود يسكن فى لهب النار، والبوم هل

يضع الكحل فى هدب عينيه، هل يبذر الملح

من يرتجى القمح حين يدور الزمن؟

*   *   *

ورأيت ابن آدم وهو يجن، فيقتلع الشجر المتطاول،

يبصق فى البئر يلقى على صفحة النهر بالزيت،

يسكن فى البيت؛ ثم يخبئ فى أسفل الباب

قنبلة الموت، يؤوى العقارب فى دفء أضلاعه،

ويورث أبناءه دينه.. واسمه.. وقميص الفتن.

أصبح العقل مغترباً يتسول، يقذفه صبية

بالحجارة، يوقفه الجند عند الحدود، وتسحب

منه الحكومات جنسية الوطنى.. وتدرجه فى

قوائم من يكرهون الوطن.

قلت: فليكن العقل فى الأرض، لكنه لم يكن.

سقط العقل فى دورة النفى والسجن.. حتى يجن

...   ...   ...   ...

ورأى الرب ذلك غير حسن!

## (الإصحاح الرابع)

قلت: فلتكن الريح فى الأرض؛ تكنس هذا العفن

قلت: فلتكن الريح والدم... تقتلع الريح هسهسة؟

الورق الذابل المتشبث، يندلع الدم حتى

الجذور فيزهرها ويطهرها، ثم يصعد فى

السوق.. والورق المتشابك. والثمر المتدلى؛

فيعصره العاصرون نبيذاً يزغرد فى كل دن.

قلت: فليكن الدم نهراً من الشهد ينساب تحت فراديس عدن.

هذه الأرض حسناء، زينتها الفقراء لهم تتطيب،

يعطونها الحب، تعطيهم النسل والكبرياء.

-

قلت: لا يسكن الأغنياء بها. الأغنياء الذين

يصوغون من عرق الأجراء نقود زنا.. ولآلئ

تاج. وأقراط عاج.. ومسبحة للرياء.

إننى أول الفقراء الذين يعيشون مغتربين؛

يموتون محتسبين لدى العزاء.

قلت: فلتكن الأرض لى.. ولهم!

(وأنا بينهم)

حين أخلع عنى ثياب السماء.

فأنا أتقدس – فى صرخة الجوع – فوق الفراش الخشن!

## (الإصحاح الخامس)

حدقت فى الصخر؛ وفى الينبوع

رأيت وجهى فى سمات الجوع!

حدقت فى جبينى المقلوب

رأيتنى : الصليب والمصلوب

صرخت – كنت خارجاً من رحم الهناءة

صرخت؛ أطلب البراءة

كينونتى: مشنقتى

وحبلى السرى:

حبلها

المقطوع!

-

# سفر الخروج (أغنية الكعكة الحجرية)

**(الإصحاح الأول)**

أيها الواقفون على حافة المذبحة

أشهروا الأسلحة!

سقط الموت، وانفرط القلب كالمسبحة.

والدم انساب فوق الوشاح!

المنازل أضرحة،

والزنازن أضرحة،

والمدى.. أضرحة

فارفعوا الأسلحة

واتبعونى!

أنا ندم الغد والبارحة

رايتى: عظمتان.. وجمجمة،

وشعارى: الصباح!

**(الإصحاح الثاني)**

دقت الساعة المتعبة

رفعت أمه الطيبة

عينها..!

(دفعتة كعوب البنادق فى المركبة!)

… … … …

دقت الساعة المتعبة

نهضت؛ نسقت مكتبه..

(صفعته يد..

– أدخلته يد الله فى التجربة!)

… … …

دقت الساعة المتعبة

جلست أمه؛ رتقت جوربه..

(وخزته عيون المحقق..

حتى تفجر من جلده الدم والأجوبة!)

… … … … …

-

دقت الساعة المتعبة!

دقت الساعة المتعبة!

## (الإصحاح الثالث)

عندما تهبطين على ساحة القوم؛ لا تبدئى بالسلام.

فهم الآن يقتسمون صغارك فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النار فى العش..

والقش..

والسنبلة!

وغداً يذبحونك..

بحثاً عن الكنز فى الحوصلة!

وغدا تغتدى مدن الألف عام.!

مدنا.. للخيام!

مدناً ترتقى درج المقصلة!

## (الإصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقفوا فى ميادينها الجهمة الخاوية

واستداروا على درجات النصب

شجراً من لهب

تعصف الريح بين وريقاته الغضة الدانية

فيئن: "بلادى .. بلادى"

(بلادى البعيدة!)

... ... ...

دقة الساعة القاسية

"انظروا .."؛ هتفت غانية

تتلوى بسيارة الرقم الجمركى؛

وتمتمت الثانية:

سوف ينصرفون إذا البرد حل.. وران التعب.

... ... ... ... ...

دقت الساعة القاسية

كان مذياع مقهى يذيع أحاديثه البالية

-

عن دعاة الشغب

وهم يستديرون؛

يشتعلون – على الكعكة الحجرية – حول النصب

شمعدان غضب

يتوهج فى الليل..

والصوت يكتسح العتمة الباقية

يتغنى لأعياد ميلاد مصر الجديدة!

## (الإصحاح الخامس)

اذكرينى!

فقد لوثتنى العناوين فى الصحف الخائنة!

لونتنى.. لأنى – منذ الهزيمة – لا لون لى..

(غير لون الضياع!)

قبلها؛ كنت أقرأ فى صفحة الرمل..

(والرمل أصبح كالعملة الصعبة،

الرمل أصبح: أبسطة.. تحت أقدام جيش الدفاع)

فاذكرينى؛.. كما تذكرين المهرب.. والمطرب العاطفى.

وكاب العقيد.. وزينة رأس السنة.

اذكرينى إذا نسيتنى شهود العيان

ومضبطة البرلمان

وقائمة التهم المعلنة

والوداع!

الوداع!

## (الإصحاح السادس)

دقت الساعة الخامسة

ظهر الجند دائرة من دروع وخوذات حرب

ها هم الآن يقتربون رويداً.. رويداً..

يجيئون من كل صوب

والمغنون – فى الكعكة الحجرية – ينقبضون

وينفرجون

كنبضة قلب!

يشعلون الحناجر،

يستدفئون من البرد والظلمة القارسة

يرفعون الأناشيد فى أوجه الحرس المقترب

يشبكون أياديهم الغضة البائسة

لتصير سياجاً يصد الرصاص!..

الرصاص..

الرصاص..

وآه..

تغنون: "نحن فداؤك يا مصر"

"نحن فداؤ..."

وتسقط حنجرة مخرسة

معها يسقط اسمك – يا مصر – فى الأرض!

لا يتبقى سوى الجسد المتهشم.. والصرخات

على الساحة الدامسة!

دقت الساعة الخامسة

... ... ...

دقت الخامسة

... ... ...

دقت الخامسة

... ... ...

وتفرق ماؤك – يا نهر – حين بلغت المصب!

* * *

المنازل أضرحة،

والزنازن أضرحة،

والمدى أضرحة،

فارفعوا الأسلحة!

ارفعوا

الأسلحة!

**1972**

-

# سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس(بكائيات)

## (الإصحاح الأول)

عائدون؛

وأصغر إخوتهم (ذو العيون الحزينة)

يتقلب فى الجب،!

أجمل إخوتهم.. لا يعود!

وعجوز هى القدس (يشتعل الرأس شيبا)

تشم القميص. فتبيض أعينها بالبكاء ،

ولا تخلع الثوب حتى يجئ لها نبأ عن فتاها البعيد

أرض كنعان – إن لم تكن أنت فيها – مراع من الشوك!

يورثها الله من شاء من أمم،

فالذى يحرس الأرض ليس الصيارف،

إن الذى يحرس الأرض رب الجنود!

آه من فى غد سوف يرفع هامته؟

غير من طأطأوا حين أز الرصاص؟!

ومن سوف يخطب – فى ساحة الشهداء –

سوى الجبناء؟

ومن سوف يغوى الأرامل؟

إلا الذى

سيؤول إليه خراج المدينة!!؟

## (الإصحاح الثانى)

أرشق فى الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أتجزأ فى المرآة..

يصفعنى وجهى المتخفى خلف قناع النفط

"من يجرؤ أن يضع الجرس الأول.. فى عنق القط؟"

-

## (الإصحاح الثالث)

منظر جانبى لفيروز

(وهى تطل على البحر من شرفة الفجر)

لبنان فوق الخريطة:

منظر جانبى لفيروز،..

والبندقية تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطر النار يهطل، يثقب قلباً.. فقلبا

ويترك فوق الخريطة ثقباً.. فثقباً..

وفيروز فى أغنيات الرعاة البسيطة

تستعيد المراثى لمن سقطوا فى الحروب

تستعيد.. الجنوب!

## (الإصحاح الرابع)

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

فى طبق اليوم

(من يمسح عنى عرقى.. فى هذا اليوم الصائف؟)

والظل الخائف..

يتمدد من تحتى؛

يفصل بين الأرض.. وبينى!

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف

(حاء.. باء)

(حاء.. راء.. ياء.. هاء)

الحرف: السيف

مازلت أرود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحياء الموتى والموتى الأحياء

حتى يرتد النبض إلى القلب الساكن

لكن..!!

## (الإصحاح الخامس)

منظر جانبى لعمان عام البكاء

-

والحوائط مرشوشة ببقايا دم لعقته الكلاب

ونهود الصبايا مصابيح مطفأة..

فوق أعمدة الكهرباء..

منظر جانبى لعمان؛

والحرس الملكى يفتش ثوب الخلفية

وهى يسير إلى "إيلياء"

وتغيب البيوت وراء الدخان

وتغيب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة

فى العلم الأجنبى،

ويعلو وراء نوافذ "بسمان" عزف البيان!

## (الإصحاح السادس)

اشترى فى المساء

قهوة، وشطيرة.

واشترى شمعتين. وغدارة؛ وذخيرة.

وزجاجة ماء!

... ... ...

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد

(ويد الله تخلع عن جسد القدس ثوب الحداد)

ليس من أجل أن يتفجر نفط الجزيرة

ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض..

من حول مائدة مستديرة.

ليس من أجل أن يأكل السادة الكستناء.

## (الإصحاح السابع)

ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر!

ليغفر الرصاص.. يا كيسنجر!!

-

# لا تـصـالـح

**-1-**

لا تصالح!

.. ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك،

ثم أثبت جوهرتين مكانهما..

هل ترى..؟

هى أشياء لا تشترى..

ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،

حسكما – فجأة – بالرجولة،

هذا الحياء الذى يكبت الشوق.. حين تعانقه،

الصمت – مبتسمين – لتأنيب أمكما..

وكأنكما

ماتزالان طفلين!

تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:

أن سيفان سيفك..

صوتان صوتك

إنك إن مت:

للبيت رب

وللطفل أب

هل يصير دمى – بين عينيك – ماء؟

أتنسى ردائى الملطخ..

تلبس – فوق دمائى – ثياباً مطرزة بالقصب؟

إنها الحرب!

قد تثقل القلب..

لكن خلفك عار العرب

لا تصالح

ولا تتوخ الهرب!

-2-

لا تصالح على الدم.. حتى بدم!

لا تصالح! ولو قيل رأس برأس!

أكل الرؤوس سواء؟!

أقلب الغريب كقلب أخيك؟!

أعيناه عينا أخيك؟!

وهل تتساوى يد.. سيفها كان لك

بيد سيفها أثكلك؟

سيقولون:

جئناك كى تحقن الدم..

جئناك كن – يا أمير – الحكم

سيقولون:

ها نحن أبناء عم.

قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك.

واغرس السيف فى جبهة الصحراء..

إلى أن يجيب العدم.

إننى كنت لك

فارساً

وأخا.

وأبا.

وملك!

-3-

لا تصالح..

ولو حرمتك الرقاد

صرخات الندامة

وتذكر

(إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامة)

أن بنت أخيك "اليمامة"

زهرة تتسربل – فى سنوات الصبا –

بثياب الحداد.

-

كنت، إن عدت:
تعدو على درج القصر،
تمسك ساقى عند نزولى..
فأرفعها – وهى ضاحكة –
فوق ظهر الجواد.
ها هى الآن.. صامتة.
حرمتها يد الغدر:
من كلمات أبيها،
ارتداء الثياب الجديدة،
من أن يكون لها – ذات يوم – أخ!
من أب يتبسم فى عرسها..
وتعود إليه إذا الزوج أغضبها..
وإذا زارها.. يتسابق أحفاده نحو أحضانه،
لينالوا الهدايا..
ويلهوا بلحيته (وهو مستسلم)
ويشدوا العمامة.
لا تصالح!
فما ذنب تلك اليمامة
لترى العش محترقاً.. فجأة،
وهى تجلس فوق الرماد؟!

**–4–**

لا تصالح
ولو توجوك بتاج الإمارة.
كيف تخطو على جثة ابن أبيك..؟
وكيف تصير المليك..
على أوجه البهجة المستعارة؟
كيف تنظر فى يد من صافحوك..
فلا تبصر الدم..
فى كل كف؟
إن سهماً أتانى من الخلف..
سوف يجيئك من ألف خلف.

فالدم – الآن – صار وساماً وشارة.

لا تصالح،

ولو توجوك بتاج الإمارة

إن عرشك: سيف

وسيفك: زيف

إذا لم تزن – بذؤابته – لحظات الشرف

واستطبت – الترف

لا تصالح

ولو قال من مال عند الصدام

".. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام.."

عندما يملأ الحق قلبك:

تندلع النار إن تتنفس

**-5-**

لا تصالح،

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام.

كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنس؟

كيف تنظر فى عينى امرأة..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟

كيف تصبح فارسها فى الغرام؟

كيف ترجو غداً.. لوليد ينام

– كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر – بين يديك – بقلب منكس؟

لا تصالح

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام.

وارو قلبك بالدم..

وارو التراب المقدس..

وارو أسلافك الراقدين..

إلى أن ترد عليك العظام!

**-6-**

لا تصالح،

ولو ناشدتك القبيلة

باسم حزن "الجليلة"

أن تسوق الدهاء،

وتبدى – لمن قصدوك – القبول.

سيقولون:

ها أنت تطلب ثأراً يطول.

فخذ – الآن – ما تستطيع:

قليلاً من الحق..

فى هذه السنوات القليلة.

إنه ليس ثأرك وحدك،

لكنه ثأر جيل فجيل.

وغدا..

سوف يولد من يلبس الدرع كاملة،

يوقد النار شاملة،

يطلب الثأر،

يستولد الحق،

من أضلع المستحيل.

لا تصالح،

ولو قيل إن التصالح حيلة.

إنه الثأر

تبهت شعلته فى الضلوع..

إذا ما توالت عليها الفصول..

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)

فوق الجباه الذليلة!

**-7-**

لا تصالح، ولو حذرتك النجوم

ورمى لك كهانها بالنبأ..

كنت أغفر لو أننى مت..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ.

لم أكن غازياً،

لم أكن أتسلل قرب مضاربهم

أو أحوم وراء التخوم

لم أمد يداً لثمار الكروم

أرض بستانهم لم أطأ

لم يصح قاتلى بى: "انتبه"!

كان يمشى معى..

ثم صافحنى..

ثم سار قليلا

ولكنه فى الغصون اختبأ!

فجأة:

ثقبتنى قشعريرة بين ضلعين..

واهتز قلبى – كفقاعة – وانفثأ.

وتحاملت، حتى احتملت على ساعدى

فرأيت : ابن عمى الزنيم

واقفاً يتشفى بوجه لئيم

لم يكن فى يدى حربة،

أو سلاح قديم،

لم يكن غير غيظى الذى يتشكى الظمأ.

**-8-**

لا تصالح،

إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة:

النجوم.. لميقاتها

والطيور.. لأصواتها

والرمال.. لذراتها

والقتيل لطفلته الناظرة.

كل شئ تحطم فى لحظة عابرة:

الصبا – بهجة الأهل – صوت الحصان – التعرف بالضيف – همهمة القلب حين يرى برعماً فى الحديقة يذوى – الصلاة لكى ينزل المطر الموسمى – مراوغة القلب حين يرى طائر الموت

وهو يرفرف فوق المبارزة الكاسرة.

كل شئ تحطم فى نزوة فاجرة.

والذى اغتالنى : ليس رباً..

ليقتلنى.. بمشيئته

ليس أنبل منى.. ليقتلنى بسكينته،

ليس أمهر منى.. ليقتلنى باستدارته الماكرة

لا تصالح،

فما الصلح إلا معاهدة بين ندين..

(فى شرف القلب)

لا تنتقص

والذى اغتالنى محض لص

سرق الأرض من بين عينى

والصمت يطلق ضحكته الساخرة!

**-9-**

لا تصالح،

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ،

والرجال التى ملأتها الشروخ،

هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد،

وامتطاء العبيد،

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم،

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ

لا تصالح،

فليس سوى أن تريد.

أنت فارس هذا الزمان الوحيد

وسواك.. المسوخ!

**-10-**

لا تصالح

لا تصالح!

**نوفمبر 1976**

-

# مظفـــــــر الـــنـــــــواب

## إلــى الـضـابـط الـشـهـيـد

ابن مصر العربية الذى فجر إحدى الطائرات الأمريكية ،

ومزقته بعدئذ زخات الرصاص

ليس بين الرصاص مسافة

أنت مصر التى تتحدى

وهذا هو الوعى حد الخرافة

تفيض.. وأنت من النيل تخبره

إن تأخر موسمه والجفاف أتم اصطفافه

وأعلن فيك حساب الجماهير

ماذا سيسقط من طبقات تسمى احتلال البلاد ضيافة

ولست قتيل نظام يكشف عن عورتيه فقط

بل قتيل الجميع

ولست أبرئ إلا الذى يحمل البندقية قلبا

ويطوى عليها شغافه

لقد قبضوا كلهم

وأحطهم من يدافع عن قبضة المال

مدعيا أنها الماركسية أم العرافة

-

# بـيـا ن سـيـا سـي

ليست تسوية أو لا تسوية

بل منظور رؤوس الأموال

ومنظور الفقراء

أعرف حقا من يركض من تاريخ الغربة والجوع بعينيه

وأعرف أمراض التخمة

يمكننى أن أذكر بعض الأسماء

لن تصبح أرض فلسطين لأجل سماسرة أرضين

وإن حمى الاستمناء

لا تخشوا أحداً فى الحق

فما يلبس حق نصف رداء

ليس مقاتل من يدخل نجد بأسلحة فاسدة أو يجبن

فالثورة ليست خيمة فصل للقوات

ولا تكية سلم للجبناء

إياكم أبناء الجوع

فتلك وكالة غوث أخرى

أسلحة فاسدة أخرى

تقسيم آخر

لا نخدع ثانية بالمحور أو بالحلفاء

فالوطن الآن على مفترق الطرقات

و اقصد كل الوطن العربى

فإما وطن واحد

أو وطن أشلاء

لكن مهما كان فلا تحتربوا

فالمرحلة الآن لبذل الجهد مع المخدوعين

وكشف وجود الأعداء

المرحلة الآن لتعبئة الشعب إلى أقصاه

وكشف الطباخين وأى حفاة طبخوا بالوعد وبالماء

وهذى مرحلة ليس تطول

وأول سيف يشهر ضد الثورة مشبوه

عن سابع ظهر من كل الفرقاء

-

لا تنسوا أن سلاح (الكحالة) ضد فلسطين

جزءاً أو أجزاء

كشف البطل اللعبة

أما التفتيش فما كشف شيئا فى الأشياء

تتوحم هذه الرجعية ليل نهار

فلا تنسوا تزييت بنادقكم

أيلول الأسود مازال هنا يتربص بالأنحاء..

# عن السلطنة المتوكلية والدراويش ودخول الفرس

أتيت الشام

أحمل قرط بغداد السبية

بين أيدى الفرس والغلمان

مجروحاً على فرس من النسب

قصدت المسجد الأموى

لم أعثر على أحد من العرب

فقلت أرى يزيد

لعله ندم على قتل الحسين

وجدته ثملاً

وجيش الروم فى حلب

فرشت كرامتى البيضاء فى خمارة لليل

صليت الشجى

وقرأت فاتحة على الشهداء بالعبرية الفصحى

فضج الحان بالأفخاذ والطرب

خرجت إلى الضحى متلفتا حذرا

فألفيت العمائم آية الكرسى

تعلوها بتنقيط من الذهب

صرخت بحارة الفقراء

خلف مخيم اليرموك

يدعوكم أبو ذر إلى عقد اجتماع جائع

لتدارس الأوضاع.

-

# الاتـــهـــــــــــــــــــام

اتهم واقتحم وبغير المنايا البنادق لا تلتزم

قل أنا البندقية لست يزيدا ولا المعتصم

تدلهم أعرف ادلهمى ستبرق إذ تدلهم

وتطوى طريا على نارها حيث لم يستقم

شد صلبك بالبندقية يشتد..

أم الجبائر هذى وأم العزم

واقتحم واقتحم أو فأنت الذى اتهم

إن لحمك من لحم سيفك

فاضرب بمذبحة يلتهمونك أو تلتهم

إنما الرجل البندقية لا يستريح ولا يحتلم

مقدم البندقية نعم المبيت ونعم الرحم

راهنوك على دمعتى أمة اصنع الدهر من دمهم

وارمه وانتقم

مالنا والطلاسم والحظ

انهض إلى حربة أكملت وعيها نحتكم

لا تقوم الجسور ولا تستقيم إذا كان بناؤها ينهدم

اقتحم واحترق

لا تسلم عنانك للأشعرى ولا تنزلق

أوثقت بمن بمواقفه لا يثق

ربما خدعتك المقاييس

كل بتاريخه يلتصق

قتلتنا الرتوق

فهذى الرتوق وما بلغت تنفتق

العراة السكاكين منهم أنا

لا الرتوق ولا ثوب ذل خلق

اقتحم..

ذئب خزى بلحم الجماهير فى مصرنا يهتدم

أبشع العهر عهر هرم

ما غريب يقبل دعر عزيزته

نسب سافل يلتحم

-

الغريب الغريب تأخر اسيافنا والذى نعتزم

طلقة والقرار لمصر

فمصر التى لعروبتها تنتقم

اقتحم..

أنسيت بأنهم شنقوك لأنهم أنزلوك من المشنقة

أنهم حلقة

لا تصدق دعاة بدون بنادقهم

فأنا كنت فى تلكم المحرقة

إنه العصر كل بحجم بنادقه

وهنالك من حجمهم بطنهم وشعارهم الملعقة

أيها القانعون بما تحتهم وطنا ومعالقهم ملصقة

البنادق ثم البنادق ثم البنادق

والخطوة الواثقة

لا أخاف عدوا يواجهنا

بل عدوا بنا اسمه القمع والسلطة المطلقة

نياشين دم الضحايا على صدرهم زنبقة

شبعنا من الخطب الخانقة

أى شعب تنادون للحرب

إن السجون على أمة مطبقة

اتركوا الشعب يعمل وفق أساليبه

فأساليبكم لا الديانات منها ولا الهرطقة

حضر الكركدن على قمعكم والتفاسير والحرتقة

إن من يغلقون السجون على الناس

لا يفتحون على القدس أبوابها المغلقة

اقتحم واسحب السلسلة

تجد الحل جزءا من اللغز

واللغز جزءاً من الحل والمعضلة

الذئاب هم قادة القافلة

فإذا أكلوك لعشق قضيتهم

أو أكلوها بدعوى لأجلك ما المشكلة

نحن فى سلة المهملات إذا انتصروا

وإذا انهزموا حملونا هزيمتهم كاملة

أيها الوطن المبتلى بالقيادات خنثى ومسترجلة

نفذ المهزلة

والتحم واقتحم بيد قد برتها البنادق

عن وحشة جوعها يبتسم

إن هذى يدا تبدأ الخير من طلقة وبها اتسم

أطبقوا وحدة البندقية

وحدة أعدائكم تنهزم.

-

# من قصيدة وتريات ليلية

فى تلك الساعة

حيث تكون الأشياء هى الشبق المطلق

كنت على الناقة مذهولاً بنجوم الليل الأبدية

أستقبل روح الصحراء

يا هذا البدوى الممعن بالهجرات

تزود للقاء الربع الخالى بقطرة ماء

يا قاتلتى بكرامة خنجرك العربى

أهاجر فى القفر وخنجرك الفضى بقلبى

وأنادى عشقتنى بالخنجر والهجر بلادى

ألقيت مفاتيحى فى دجلة أيام الوجد

وما عاد هنالك فى الغربة مفتاح يفتحنى

هأنذا أتكلم من قفلى

من أقفل بالوجد وضاع على أرصفة الشام سيفهمنى

من كان مخيم يقرأ فيه القرآن

بهذا المبغى العربى سيفهمنى

من لم يتزود حتى الآن

وليس يزاود فى كل مقاهى الثوريين سيفهمنى

من لم يتقاعد كى يتفرغ للهو

سيفهم أى طقوس للسرية فى لغتى

وسيعرف كل الأرقام وكل الشهداء وكل الأسماء

وطنى علمنى أن أقرأ كل الأشياء

وطنى علمنى..

علمنى أن حروف التاريخ مزورة

حين تكون بدون دماء

وطنى علمنى أن التاريخ البشرى بدون الحب

عويل ونكاح فى الصحراء

وطنى هل أنت بلاد الأعداء؟

وطنى هل أنت بقية (داحس والغبراء)؟

وطنى أنقذنى رائحة الجو البشرى مخيفة

وطنى أنقذنى من مدن سرقت فرحى

أنقذنى من مدن يصبح فيها الناس مداخن للزبل مخيفة

أنقذنى من مدن ترقد فى الماء الآسن

كالجاموس الوطنى وتجتر الجيفة

أنقذنى كضريح نبى مسروق

فى هذى الساعة فى وطنى

تجتمع الأشعار كعشب النهر

وترضع فى غفوات البر صغار النوق

يا وطنى المعروض كنجمة صبح فى السوق

فى العلب الليلية يبكون عليك

ويستكمل بعض الثوار رجولتهم

ويهزون على الطبلة والبوق

أولئك أعداؤك يا وطنى

من باع فلسطين سوى أعدائك أولئك يا وطنى

من باع فلسطين وأثرى بالله

سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام

ومائدة الدول الكبرى؟

فإذا اجن الليل

تطق الأكواب بأن القدس عرس عروبتنا

أهلا أهلا

من باع فلسطين سوى الثوار الكتبة؟

أقسمت بأعناق أباريق الخمر وما فى الكأس من السم

وهذا الثورى المتخم بالصدف البحرى ببيروت

تكرش حتى عاد بلا رقبة

أقسمت بتاريخ الجوع ويوم السغبة

لن يبقى عربى واحد إن بقيت حالتنا هذى الحالة

بين حكومات الكسبة

القدس عروس عروبتكم

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها

ووقفتم تسترقون السمع وراء الأبواب

لصرخات بكارتها

وسحبتم كل خناجركم

-

وتنافختم شرفا

وصرختم فيها أن تسكت صونا للعرض

فما أشرفكم

أولاد القحبة هل تسكت مغتصبة

أولاد القحبة

لست خجولاً حين أصارحكم بحقيقتكم

إن حظيرة خنزير أطهر من أطهركم

تتحرك دكة غسل الموتى اما انتم

لا تهتز لكم قصبة

الآن أعريكم

فى كل عواصم هذا الوطن العربى قتلتم فرحى

فى كل زقاق أجد الأزلام أمامى

أصبحت أحاذر حتى الهاتف

حتى الحيطان وحتى الأطفال

أقئ لهذا الأسلوب الفج

وفى بلد عربى كان مجرد مكتوب من أمى

يتأخر فى أروقة الدولة شهرين قمريين

تعالوا نتحاكم قدام الصحراء العربية كى تحكم فينا

أعترف الآن أمام الصحراء

بأنى مبتذل وبذئ وحزين

كهزيمتكم يا شرفاء مهزومين

ويا حكاما مهزومين

ويا جمهوراً مهزوماً

ما أوسخنا ما أوسخنا ما أوسخنا ونكابر

ما أوسخنا

لا أستثنى أحداً

هل تعترفون

أنا قلت بذئ

رغم بنفسجة الحزن

وإيماض صلاة الماء على سكرى

وجنونى للضحك بأخلاق الشارع والنكنات

-

ولحس الفخذ الملصق فى باب الملهى

يا جمهورا فى الليل يداوم فى قبو مؤسسة الحزن

سنصبح نحن يهود التاريخ

ونعوى فى الصحراء بلا مأوى

هل وطن تحكمه الأفخاذ الملكية

هذا وطن أم مبغى

هل أرض هذى الكرة الأرضية أم وكر ذئاب

ماذا يدعى القصف الأممى على هانوى

ماذا يدعى سمة العصر وتعريص الطرق السلمية

ماذا يدعى استمناء الوضع العربى أمام مشاريع السلم

وشرب الأنخاب مع السافل (فورد)

ماذا يدعى أن تتقنع بالدين وجوه التجار الأمويين

ماذا يدعى الدولاب الدمى ببغداد

ماذا تدعى الجلسات الصوفية فى الأمم المتحدة

ماذا يدعى إرسال الجيش الإيرانى إلى (قابوس)

وقابوس هذا سلطان وطنى جدا

لا تربطه رابطة ببريطانيا العظمى

وخلافا لأبيه ولد المذكور من المهد ديمقراطيا

ولذاك تسامح فى لبس النعل ووضع النظارات

فكان أن اعترفت بمآثره الجامعة العربية يحفظها الله

وإحدى صحف الإمبريالية

قد نشرت عرض سفير عربى

يتصرف كالمومس فى أحضان الجنرالات

وقدام حفاة (صلالة)

ولمن لا يعرف أن الشركات النفطية

فى الثكنات هناك يراجع قدرته العقلية

ماذا يدعى هذا

ماذا يدعى أخذ الجزية فى القرن العشرين

ماذا تدعى تبرئة الملك المرتكب السفلس

فى التاريخ العربى

ولا يشرب إلا بجماجم أطفال البقعة

-

أصرخ فيكم

أصرخ أين شهامتكم

إن كنتم عرباً.. بشراً.. حيوانات

فالذئبة حتى الذئبة تحرس نطفتها

والكلبة تحرس نطفتها

والنملة تعتز بثقب الأرض

وأما أنتم فالقدس عروس عروبتكم

أهلاً..

القدس عروس عروبتكم

فلماذا أدخلتم كل السيلانات إلى حجرتها

ووقفتهم تسترقون السمع وراء الأبواب

لصرخات بكارتها

وسحبتم كل خناجركم

وتنافختم شرفا

وصرختم فيها أن تسكت صونا للعرض

فأى قرون أنتم

أولاد قراد الخيل كفاكم صخبا

خلوها دامية فى الشمس بلا قابلة

ستشد ضفائرها وتقئ الحمل عليكم

ستقيئ الحمل على عزتكم

ستقيئ الحمل على أصوات إذاعتكم

ستقيئ الحمل عليكم بيتا بيتا

وستغرز إصبعها فى أعينكم

أنتم مغتصبى

حملتم أسلحة تطلق للخلف

وثرثرتم ورقصتم كالدببة

كونى عاقر أى أرض فلسطين فهذا الحمل مخيف

كونى عاقر يا أم الشهداء من الآن

فهذا الحمل من الأعداء

دميم ومخيف

لن تتلقح تلك الأرض بغير اللغة العربية

-

يا أمراء الغزو فموتوا

سيكون خراباً.. سيكون خراباً

سيكون خراباً

هذى الأمة لابد لها أن تأخذ درساً فى التخريب..

……………………………………………

……………………………………………

-

# مقاطع أخرى من قصيدة (وتريات ليلية)

سيعيرك الناس بأن فقيرا مثلى راود زنديك

دعى العضة إذ ذاك تكلمهم

فالعضة مثل نبى يتكلم فى المهد

ومن كان نبياً يتعذر فيه المقياس

لا أملك غير مسدسى من زمن الترك

نقشت عليه تواريخ الجوع

تواريخ الهجرة فى طرقات الشام

أسيماء حبيباتى فى الكرخ

وأصوات رجال كانوا الأصدق فى كل العمر

تحكم فيهم نسناس

يا وطنى يتحكم فيك النسناس

يا وطنى الأرضى جرعت الغربة حتى القعر

فالتفت على من الدهشة والألم الكاس

من كان نبيا يتعذر فيه المقياس

أقفلت الأبواب وصلى فى الناس صلاة العهر الحجاج

فكبر للعهر الناس

حرف فى قلب المسجد قرآن الفقراء

وخص الأقرب فالأقرب بالخمس

كذاك الدنيا أخماس

وقفوا بين يدى الحجاج

فصحت على أشرف من فيهم

والله وكان خصياً يحمل سيفا فاربد

قد يخصى القلب من الخوف وتكثر فيه الأرجاس

يا أهل الكوفة..

لو سيف واحد بالحق يسل

سيقصى الحجاج

ويعتق هذا التاريخ العربى من الذل

فماج المسجد.. صاحوا

يكفر بالحجاج

فكيف لماذا.. لا يلقى القبض عليه الحراس

-

صرخت بهم

لا يلتبس الأمر عليكم

هذى إحدى طرق الحجاج

فما بال الكوفة تنسى

سكتوا وأطل على من الأعين شرك إفلاس

كان الحجاج يطل على المسجد من فوق المنبر

يقلب أرواح الناس بكفيه

مكتنز الجفنين من الخبث

يسرح لحيته وجئ بصحن عبرى

صف عليه رؤس الشهداء

وعب المسجد واخضلت بدم الشهداء

لحى تهتز ببسملة الله

وجئ برأس فلسطين وزنديها

فالتم عليها ذوو النهى

يكشف كل عن عورته

وكنت أميز بين النهمين

بنانة كافور وأبرهة الحبشى وعمرو بن العاص

وأجداث مسيلمة الكذاب

وحاكم مكة والقانون الجائر فى البحرين

وقابوس

وكل المأمورين بأمريكا

فتعوذت .. وصحت

ستؤكل والله فلسطينكمو

ونستجدى فى الطرقات

وقمت.. توضأت .. وفوضت بأمرى للسيف

وأنا فى النوافذ أتبع طير الصدى

ثم تخفى الطريق القديم دموعى

وتمطر.. تمطر.. تمطر.. تمطر

فى الحدس تكتظ جمجمتى بالشقائق

والحدس والفكر والليل

وتمطر..تمطر..تمطر..تمطر

-

تعشب كتف قميصى

ويعشوشب المفرق الأنثوى الرفيع المميز

لامرأتى بين كل النساء

وتذهب كل الخفايا الخجولة فى مرقد الليل

حيث الخفاء الوثير يؤدى إلى سلم لؤلؤى

يؤدى إلى حلم

حلم يستفيق على بركتين

وفى البركتين هلام يشف على وحشة وافتراس

هنا يتكون والانتفاض اللذيذ يصير جنينا

وتمطر.. تمطر.. تمطر.. تمطر

والشبابيك ليست هنا

والندى الفستقى يمسح وجه ضياع الجنوب

ويتوجها الكرم والتين والحب والذكريات

على باب هذا الجنوب لدى كل حلم يبيت

وكل نجوم السماء بنات

ويستل جرح الفراشات والنوم فى برك لا نهائية

يحبس الحسن أنفاسه إذ يخوض بها

والقرى خلفها مطر

وأنا فى النوافذ أتبع طير الصرى

ثم تخفى الطريق القديم دموعى

وتمطر.. تمطر.. تمطر.. تمطر

تبدو كتابات روحى ثانية من وراء غبار الخريف

وتورق لاماتها

تورق النون.. والواو.. والراء.. والسين..

تورق لاماتها

لم تزل هذه الروح كوفية الخط

مغرمة بانتهاك قراصنة الليل

بين اصطفاف البنفسج والفخذين

وركب الخيول المحناة صوب بخارى

وفى الليل يجتمع الحلم فيه

ويترك فى قراءات نوم العصافير

-

أن العصافير فى كرمة فى الجنوب سكارى

أحب الجنوب لشيئين فيما يبوحان كتمهما

قد بذلت القصارى

وأطل من البوح كتم يشير إليك بإصبعه

ويدل وأنت وغيرك فيما يبوح حيارى

وحين تنامين يلوى النشوء بأعناقه

وتشف على بعضها الغفوات

وفى أولات المواسم يبتدئ العشق بين النعاج

ويعشق من يفسدون النعاج الرعاة

وحين يروحون فى الشرق أبقى وحيدا

وتنتشر الخلوات

وأحلم أنى على صهوة المهر

اقطف تفاحة وأخبئها

بين نهديك خضراء

تنضجها الشهوات

وبين الخلائق من يخلقون النواة

وأما الكثير فقد خلقته النواة

وتلك معادلة صعبة

وأشد الصعوبات فيها الثقات

وإنى على مطلق الأمر أعرف كل نواة بتاريخها

وأعرف كيف تمد إليها اليدين الحياة

وكنت مع الحلم أحلم أحمل فانوس كل نهار يجئ

أو اصل سكرى بالكون من دون مزج

ويربكنى أن أقوى الخمور الردئ

وأغسل حنجرتى بالنبيذ

ففى القلب حزن جبان

وحزن جرئ

لكم عذبتنى الرياح تغير وجهتها دون سابقة

والفراق دنئ

وكم أنت رغم الوضوح خبئ

وكم أنت مثل جناح الفراشة فى الحلم زاه بطئ

-

وكم أنت تعشق رأس الحسين

الذى فوق رمح ولا يستريح

تأبى الذوائب مذ ثبتتها الدماء على غرة أن تزيح

ومن ثبتته الدماء محال يزيح

دعوتك أنت المعلم إن كان علم

فتلك الجروح

ألوف.. ألوف..

ألوف وراءك فى الدرب سارت

لينهض شئ صحيح فما نام إلا الصحيح

يباهى اليسار الصحيح

بأنك فى قمة قد حملت السلاح

وغاليت فى مبدأ اسمه سلطة الفقراء

وهذا غلو صحيح

يلومون أنى أنفخ نار التراث

أنا أرفض الخردوات من الفقهاء

فثم تراث وثم فحيح

لقد ظل قلبى أميناً لمعدنه معدن الفقراء

ولى أمة طالما كل ناس لهم أمة

مدية.. طالما كل ناس لهم مدية

لغة.. طالما لغتى تشعل الأبجديات عشقا

وصريح

أحب زوايا عيون النساء صريح

وأمقت من يشهرون النصوص سيوفا

ومن يكسرون النصوص

كلا الانحرافين ريح

وأمقت.. أمقت.. امقت من يشهرون الحسين

لغير الوصول إلى ثورة

مثلما جوهر الأمر فيه وإلا جنوح

لعل الحسين إذا ما رأى طفلة فى شوارع بيروت

تنهش من لحمها الشهوات

وثم شظايا من القصف فيها سينكر مأساته

-

والجروح على رئتيه تقيح

يقولون من أمها وأبوها

فقلت الجنوب وتاريخه والبيوت الصفيح

وعدت اعترضت

هو الجوع أكبر آبائنا الثائرين

ومن كان هذا أبوه تغلب فيه الجموح

متى ما توزع هذى العمارات للفقراء

وتجزر ألف انتهازية

والسلاح يقوم أداء لمهمته سيقوم المسيح

ولست أبشر بالحب إلا عنيفا

وأن أستريح على ذلة وأريح

كفاكم نزوحا وإلا فما تنتهى

ويسد الطريق على المدعين النزوح

هناك فداء وليس فداءين

لا تخدعوا بفداء بغير سلاح

وكل التخاريج فى غير هذا التفاف صريح

ومن أخطأوا ليس عيبا

بل العيب أن تبتنى فوق ذاك الصروح

ولست أخاف العواقب فيما أقول

فإن الشهادة من أجل قول جرئ ومعتقد

قبة وضريح

إذا كان بعض يفكر فى النيل منى

فهذا أنا

لست أملك إلا القميص الذى فوق جلدى

وقلبى وراء القميص يلوح

خبرت الخليقة سطحا وعمقا وطولا وعرضا

فكان أكبر درس تلقيته

أن أكون فصيح المحبة والحقد

فالعصر جيف صريح

متى تنهضون

لعنتم على الركض خلف كروش الزعامات

-

فيما الزعامات باعت ذبيحا وحيا

وثم هنالك صفقة أرض

فكونوا على حذر البندقية

فالديك سوف يصيح

بحق السموات حتى إذا الديك صاح على خطأ

فهنالك نار

وحين تكون الشرارة حقا وليس كلاما

فإن الهشيم العظيم يثار

إذا كان بعض يدين سماع الغيوب

سمعت انفجاراً سيأتى

ويتبعه فى الهدوء انفجار

رثيت الذين تتاح لهم فرصة أن يكونوا من الثائرين

ويدفنهم فى الجحور الغبار

لقد سافر الحلم قاطرة والشبابيك لا تنتهى

والوداع استمر تخالطنى نكهة المشمش المتأخر

ثم لمحتك فى آخر العربات ولم ينتظرنى القطار

لقد بالغ الانتظار

ثوى فى السقوف الحمام

ومازلت فى سكة الحلم أحلم

أحمل فانوس كل القطارات

حتى أطل النهار

وفى أولات المواسم تصبح روحى بدون سياج

ومفتوحة لهباء الشتاء

ونوح السواقى ورجع الحمام

وينزلق الدمع تلقاءه من وداعين

تما إلى غير ذى رجعة فى الظلام

وقد نلتقى

إنما القلب ودع شيئاً كثيراً

وودع أكثر لما رمته المرامى

لى الله فى غربة

ما خفضت الجناح لغير الأحبة فيها

-

وفى يقظتى والمنام

يفتشنى الحزن فى كل ليل

علام يفتش هذا الغراب الغبى بهذا الحطام

وقيل أذل من الجوع

قلت أجوع يا سافلين

وأزرع فى الشام طيب انتسابى

لقد سافر الحلم قاطرة كلهم ما ودعونى

كأنى مررت بألف حطام

على فجأة كانت الريح مجهولة

قطع الحلم كانت مزابل رسمية تقرع الزفت

وضعوا قيدهم فى يدى

ذبحوا هودجا من قطا

علموا فوق قلبى بأختام خيل

وكل الحدود التى رأتنى

اشترت علكة

وتباهت بخصيانها ساعتين أمامى

لكأن القيامة أهون من مركز فى الحدود

وشبر من الأرض مصطنع بين هذى البلاد

وبين الشام

وفى أول الأمر علمنى الحزن كيف أحدق فيهم

وأزوى فمى الشبقى كما سمك الليل

لا شئ يجدى

لقد صار كل صليبى

ولا شئ يرجى

علمنى الحزن كيف أوضب فى التافهين

علمنى الحزن كيف أبول على الشرطة الحاكمين

فإن غضبوا

بلت ثانية عليهم

هذا زمان البول فوق المناضد والبرلمانات والوزراء

أبول عليهم بدون حياء

فقد حاربونا بدون حياء

-

متى تنتهى كل هذى الفوازير والنشرات الرخيصة

والمخبرون الغلاظ الوجوه

كأن مؤخرة لمريض يوسخ من تحته

عالم أى عالم هذا

ومرضى.. ولكنهم أى مرضى

تصافح لؤما ذنابى عقارب والسم يغلى

وكيف تحب العقارب ليلاً

وسم العقارب فى الليل أمضى

وكيف المساواة بين الحفاة وبين العقارب

لا أفهم العهر هذا

ولا العهد يرضى

يقولون تسكر قلت بخمرى

رغم اعتراض المواخير طولاً وعرضا

عجيب حجار المراحيض يظهر طهرا

ويزوى على بعضه والهزائم تفرض فرضا

أأمشى على راحتى لأقنع أن هزائمكم تلك نصر

وأخلط بين المياه وبين السراب

وفى أولات المواسم يحتدم القلب من زهرتين

تمسان بعضها بارتعاش

وأصبح سلكا بلا عازل فى الظلام

وأنتظر الزائر الأرجوانى يغمسنى كالطباشير

فى حبره الأنثوى

ويكتبنى نورسا لا بلاد له

غير دهشته بالطقوس وما أهملت من دموعى

وعشاقى فى دفترى وثيابى

لقد طرزتنى البروق من الأمس هجرتها

ثم لج على طلعتى فى الربيع الظلام

وكل العصافير قد مارست عشقها فى رفوفى

فبعض الرفوف تثير الغرائز دافئة فى حنان

وبعض الرفوف تنام

ثلاثون ما نام رف بقلبى

-

ولا عدت أعرف ما ذا يفيق وماذا ينام

وما قلبى ينام

وشيئاً فشيئاً خبا الرقص فى قاعتى والمرايا

وخف الزحام

وغادر آخر من أصطفيه

وفارقته فوق جرحى ابتسام

وسافر صحبى على ناقة الله ما ودعونى

أيا أيهذا الغبار الذى خلفوه سلاما

مساء غد ينفض النخل أزهاره

وفى سواقى السعال على رئتى

ويرشرش حزن قديم تراب المقابر قدام بابى

فقدت الكثيرين ممن أحب

فصرت أمت كثيراً لهذا التراب

وها أنا أقفل فى آخر الليل

والمدمنون يقولون كانت هنا حانة

يسكر العشق فيها

وغادرها مثقلاً فى الضباب

لكم مدمن أيها العشق على حالتى

وتحب عتيق الشراب

ولست أرى الآن صفصافة

لم تكن فى الطفولة بيتا لروحى

وعشقا ألاصق أوراقها كالجنين

وكل الدروب المحناة بين البساتين تصغى إلى

وفى آخر الحلم أملأ عبى بصوت الشحارير

كنت شقيا تفجر روحى الدروس

ولكننى الآن بين دروس السفالات أشقى

أقاوم حرب المواخير

فى غابة من خيال الحشيشة والجعجعة

وتفرغ فيها الطبول

فإن رحب البحر بالحرب أنزلت الأشرعة

ففيم الرهان على خاتم الأشعرى

-

وفيم الذهاب لجلب الضحية للمسلخ الدولى

ولف العمامات زيفا على القبعة

متى كان فى لحية النفط أو فى الزبيبة من شرف

أيها الراقصون لهم كالقرود كفاكم ضعة

فما ترجعون بغير السلاح وكشف الوجوه بلا أقنعة

حزين.. أحاول أن أعبر الآن كل ضجيج الشوارع

مرتبكاً من مجال السياسة والجاز

تدفعنى كتل لا وجوه لها

والمظلات ذات الأسى النرجسى

تحوم على الليل حلم

أتغلف وجها من الأزرق الناعم المستفيق

وكأرنبة ولدت توها فى نهار صبوح

بكل أناقة أرى وجهى وغربتى وقروحى

وتصعد بين المظلات صوب الوجوه الحزينة روحى

وأعرف وجها يفرح قلبى به

وأكشف بين يديه التى تعرف اللطف كل جروحى

أريه بأنى حين رأيت الذباب يفقس

فى قلب من يعرفون هواى

تركت طموحى

وأرسيت بين القوارب قارب حزنى

ما عاد لى أنيس سوى دفترى

والذى يعرف الحزن يعرف كيف تعذر وزنى

حزين أحاول أن أسأل الحزن ماذا يسبب حزنى

أرى صراعاً وحماساً جبانا وحشداً بلا أى أذن

وحشدا بلا أى عين

تعج شوارع هذى البلاد بحرب البسوس

وليس يوزر إلا المحاسيب فيها

فيأتى الخليط بلون ويصعب تحديده أى لون

ويفتح فيها الرصاص منابزة بين ال فلان وال فلين

ويسند هذا بقصف العدو

ويسند هذا بقصف الحكومة

-

والحكم للاحتكار المنسق ما بين بين وبين
فهم مستزلمون ومستخنثون وبعض توزع فى الجانبين
وتفتك فيه المصارف خشية دين قديم على الأغنياء
ودين الفقير على آكلى لحمه ثورة تعتلى كل دين
كأن الصيارفة اتفقوا على أن يدك الجنوب على أهله
ويقدم من لحمه طبق اليوم
بين الطناجر والخمر والمتخمين
وقدما لقد أفرغ الامويون خمرتهم فوق رأس الحسين
وأشياء.. وأشياء تجمع بين الجنوب ورأس الحسين
وبينى
وأشياء وأشياء تجمع بين الخيام
وبين الفدائى وبين الجنوب ورأس الحسين وبينى
ألا لا تخافوا فما قلة نحن
كل انفجار يضاعفنا
ولذاك يقوم الرهان الكبير على بغلة الدولتين
ستدمغ جنبا إلى جنب
حوافر كل التيوس على صفقة الأرض هذى
ولرب دعى شيوعية سيصلى وراء اليمانى فى الحرمين
وليس كثير على سمة العصر
فى أن تقوم التراويح بعد صلاة العشاء
تبرأت من كل هذا العجين
وهذا لمن يدرك الباطنية فى العشق بعض انتمائى
أنا أنتمى للجموع التى رفعت قهرها هرما
وأقامت ملاعب صور وبصرى
وأضاءت بروج السماء بأبراج بابل
أنا أنتمى للجياع ومن سيقاتل
أنا أنتمى للمسيح المجذف فوق الصليب
وقد جرح الخل خد الاله على رئتيه
وظل به أمل ويقاتل
لمحمد شرط الدخول إلى مكة بالسلاح
لعلى بغير شروط

وللربذى يدق على قحف كل غنى

فمازال منهم كثيرون حول معاوية يضربون الصنوج

ويرعون شأن الحروب

أنا أنتمى للفدائى.. ولرأس الحسين..

وللقرمطية كل انتمائى

وللماركسيين شرط الثبات مع الفقراء

وشرط القيام بها بالسلاح كما هى أصلاً

بدون التفاف ودون رياء

وشرط يقال على خفية للجماهير صاحبة الأمر

لا ينهض الأمر إلا بحد السلاح وحد الخفاء

ولست لأخلع فى شدة صاحبى وأعود إليه بخفى حنين

كما الأشعرى فإنى مقيم

وتبا لمن كل يوم يبدل من نفسه مرتين

وإنى ألمح لا تسألونى

فخط التراجع نحو السلاح عريض

فيا إخوة فى السلاح خذوا حذركم

فوراء الحياطين ثم حوار بغيض

تحيد فيه الفقر تمام الحياد

هو العالم من فئتين

هنا الفقراء على جوعهم واقفين

وخلف قلاع الخزائن يجتمع الاحتكار وأزلامه

ويمارس بعض الزنا بالسلاح

فمال بفن وعهر بفن

وليس خلاص بغير الرصاص الذى علمته التجارب

لا بالرصاص الغبى

فثم رصاص وثم رصاص تجنى

أأجمل من نخلة حملت فتسند عذق على سعفها

ويمامة ظهر تدغدغ منقارها تحت جنح حمام رحيم يغنى

وأنهار فى خاطرى وبيوت قديمة

ظلت تضئ على بعدها

والزقاق يلف بقلبى

والشبابيك ممسوحة بدموعى ودالية

إلى بيت عشق قديم

ومسحة حزن بلادى العظيمة

بالرغم مما تجنت وما شردتنى

كأنك أنت هنا ما تغير شىء

فنفس الجياع ونفس الفئات التى طاردتنى

ونفس الدموع ونفس النساء ونفس الغلابة

وفى أولات المواسم كنت أعيش على الحبر والطل

والانفساح السماوى

والبقر البرتقالى يحرث فى الصمت أرض الكآبة

وأمى تعلم أطفالها مثلما علمتنى

بأن الحروف البسيطة شيئا فشيئا تصبح كتابة

ثلاثون عاماً كتبت على كل شىء

فيا من يعلمنى كيف انسى الكتابة

وأرجع صرخة روح بدائية لم تلوث بأمراض جدرانكم

تخدق فى كل يوم بنفس الرتابة

سأرفض لكنما الرفض وعى وتعبئة وسلاح

وليس التردد بين الخلافة والقرمطية

أو بالترجرج بين الصحابة

وأرفض لكنما لست بطرس قبل صياح الديوك

يسب المسيح

وبعد ارتفاع الصليب تكون الجموع احتسابه

سنرفض عن ثقة

بأن هذى الجموع تميز بين الهزيل وبين الرهيف

وتكره من يرفضون على ظهرها بالكتابة

لا شئ غير الكتابة

يقولون شورى أيا شوهة بوهة

أى شورى

قد قسم الأمر بين أقارب عثمان ليلاً

ولم يتركوا للجياع ذبابة

وكيف تقام على كل ذاك النظام فلسطينكم

-

بل أقل كثيراً

أنا ثكلتنى الثواكل إن كنت أفهم هذا

وأنحاز يوما لغير الجماهير

ليست الطريق طويلة وإن هلكوا

ولابد يوما كل يقدم حسابه

نوارس فضية فى ضباب الصباح

على ساحة البرج والروح محبوسة

بين أيدى الصيارفة الميتين

وبؤس المقاهى

وهم خفيف يحرك حزن الستائر فى عرس قلبى

وإحدى البغايا تصلح ما خرب الليل من وجهها

ويثير النسيم الخريفى شيئا من الروح مازال فيها

فثمة من الله شىء بكل النفوس يثير انتباهى

تحاول أن تستفيق الأنوثة فيها ويحبطها عابر محبط

كل ما فيه من رجل عورة كالحكومة

إن الحكومات فى الشرق تكملة للملاهى

وجدت بغاء الأزقة فى البرج جوعا

وحرت بمن يقفون صفوفا على الجوع

جوع سيأكل جوعا

ومازال بعض النوارس يجتاز نخل العراق

المثبت فى ساحة البرج فى نشوة

والقوافل تمشى حزينة وبعض المدائن

تغرق من أحزانها

إيه بيروت

أنت أشد من الحزن فى هذه الساعة الأبدية

اعتبرينى عشيقا لما تكتمين وقولى لماذا أنت حزينة

وتفرغ فيك البواخر أحزان كل الموانى

أم أنه البحر والريح والضجر المستمر

وتأوى طيور اللغات مزقزقة لشواطئك

ثم تحب.. وتنسى تواصل هجرتها

وتضج الفنادق والعربات وكل سقوف المقاهى

-

وفى كل بيت بكل اللغات لهن مقر

ولكن لنا لغة إيه بيروت.. أم

ولا تملك الأخريات حنان المنازل فيها

فما المرضعات كما الأمهات

وأحلى اللغات الابر

حليب الرضاع يفى

وحدو القوافل والخلجات الخفية فى الروح

والأهل.. شام.. عراق.. حجاز ومصر

وكل الكواكب فى العالم العربى

الذى فى خضم الحروب على الطبقات سيرفع قسرا

فلابد فى لغة الطبقات الفقيرة قسر

حلمت بأن الجموع سترفع بيرقها العربى على ذمم

الكادحين

وليس ببيرقها العربى

على خوذة العسكريين والأغنياء

وشعر لعمرك تلك المسيرة شعر

وما يتحرى الضمائر كمفترق يتربع من يتربع فيه

يتقاعد من يتقاعد فيه

وتبقى المسيرة هادرة فى خضم المعارك

طالت أظافرها وخناجرها ولحاها

ليافا التى اغتصبت

اسمعوا صوت يافا تزغرد

رافعة دمها بيرقا بانتظار المسيرة

واستبقوا صوب حيفا قبيل العشى

ولا تنصتوا للذين ارتشوا

قد عرفنا الطريق وإن الكرامة جسر

إلهى.. إلهى.. إلهى

وويل لمن يتأخر

فإن النداء لأوضح من مشرق الشمس

قد أخبرتنى سنونوة أن نجمة داود قل أفلت

وهو يحتضر الآن فوق عصاه

-

وتنعشه مواكب الوساطات والانتظار

وأن الوساطة فى آخر الأمر عهر

تقاعد بعض على نصف ثورية

ونظر أن التقاعد مرحلة قلت كفر

لماذا هذا المزاد الطويل العريض لماذا

إذا كان يلتمس العذر بعض فنقص الكرامة عذر

وفى أولات المواسم يزهر فى القدس صوت الحمام

وتذهب بيارة البرتقال إلى البئر تغسل أقدامها

فالقادمون أحبتها

وهى قد كتمت دمعها ريثما يرجعون

ويبدأ فصل المطر

وتصعد فى الجو رائحة الكستناء الجديد

وست البنات التى ضاجعتها الخيول

وفاض البنفسج فوق السطوح

وشيئا فشيئا فشيئا فشيئا

تدب الطراوة فى الجفن يعرق ثانية

كالمراهق حين يعاجل أو منى

وتعبق فيه اللزوجة والزهرات العراقية الأصل

وتمطر.. تمطر.. تمطر.. تمطر

فى الحدس تمطر.. تمطر.. تمطر.. تمطر

بعد رحيل العدو يكون المطر .

-

# بـالـخمـر وبـالـحـزن فـؤادي

عسل الورد الخامل ريقك

والنهدان أراجيف دفوف لئلاء

اهتز كما يهتزان

أحد من الشفرة طبعى

ورقيق ماء

أوسخ طين سيدتى ينبت فلا أن لقى الحب

وأطيب طين لا ينبت حين يساء

مسكون بالغربة

يجرى الفيروز بأوردتى حزنا

هل تسمح سيدتى أنساب إلى جانبها

ليس على سوى برد العمر رداء

دوريات الإخصاء تجوب الشارع

أغرب شيء..

أى فم يفتح..

فورا يجرى التخدير ويخصى

ما هذا الصمت المتحرك بالشارع إلا إخصاء

جئتك من كل منافى العمر

أنام على نفسى من تعبى

ما عدت أزور فنارا

البحر تخرب

يحتاج البحر إلى إصلاح

والغرق الآن هو الميناء

مازلت على طاولة الحانة لست أعى

إلا ثملى بالكون

فالبعض على طاولة أخرى للسكر بدم المخلوقات

أنا.. هذى طاولتى

يقرأنى من يرغب حسب ثقافته فى العشق

وقد يخطئ لا أستاء

يا من تسعل من كل مكان إلا حلقك

البرد شنيع وقضيت الليل تراقبنى

-

العرب الأعراب من البحر إلى البحر بخير

وسجون ممتعة

إسرائيل ترش علينا ماء الورد من الجو

وأنت تراقبنى

ما أجمل هذا المنظر

إسرائيل ترش وأنت تراقبنى

مبسوط..؟

مبسوط لا شك

انا والله كذلك جدا

شكرا.. ولدى رجاء

اكتب ما شئت لمن شئت بما شئت

ووجهك للحائط أرجوك

تشكيلة وجهك تزعجنى

عفوا لا أقصد جرحك فى شيء

هل ظل هنالك ما يجرح فيك

ولكن خطأ فى خطأ تشكيلة وجهك

يا رب لماذا الأخطاء

أنت مصر يا سيد تزعجنى

هل آذيتك فى شيء

أنزلت مرتبك الشهرى

سبقتك فى طابور الخبز

إن كنت بهذا التقرير توفر خبز عيالك

سيشبون حراما

أو كنت تريد شراء حذاء

أنت وتقريرك والراتب يا دوب حذاء

أهل الحانة ناموا

سامحنى أنصرف الآن

فؤادى مملوء بالخمر وبالحزن

بى شوق أتمرغ بالرمل

ورائحة البطيخ بشاطئ دجلة

سامحنى إن كنت أسأت فما قصدى

-

نفق القلب..

أعشق ألقاك غدا فى الحانة إنسانا

تقدر يا سيد إن أنت تشاء

فرشت وفى قلبى الحانة

مرتعش بالمطر الفضى

كهر فقد المأوى

أتمسح بالأبواب

أقوس ظهري الثلجى

برأسى مشغل ماس منتظر شحنة نهدك

والعمر يباب

مولاى.. لقد نام ملوك الأرض وغلقت الأبواب

تنثرنى الريح قبيل شجيرات الشارع والثلج

مطاعم آخر ساعات الليل تضئ هنا وهناك

تلكأ وجهى..

أسمع طفلاً يثغو فى المهد

وأسمعه يثغو..

يا رب يشب له وطناً

فأنا عشت بلا وطن

وأنا أعرف كيف يعيش الزرع السائب فى الماء

ويشتاق إلى أى تراب

عصفور فى الشباك الضالع فى نومك

زقزق فى زخرفة الشامى

وأغمض عينيه على أقدم أغنية غناها

رئتاى امتلأت دمعا

يوما ما..

شغل الدنيا بالعشق

ولم يلق سوى الصيادين جواب

هرم الصيد

هرم الصيادون

ومازال العصفور كما كان يزقزق

كان يقول..

-

إن مر حزين آخر ساعات الليل

كأن العصفور يقول له مساء الفل تأخرت

أقول صباح الخير لقد طلع الفجر

وبغداد تقوم الآن من الحلم بدون ثياب

تمسح بالطل وزرقة قبل الفجر مفاتنها

تدخل عند الله وتخرج بالشمس وبالشاى

البصرى الموجع بالنعناع

شواطئ دجلة مازالت نائمة

والسيد قد نسى التقرير على طاولة الخمر وغادر

مكتوب فى التقرير

أن الخمرة سيئة

السيد كذاب

السيد كذاب

حتى فى الخمرة يا سيد تكذب ؟!!

حتى فى الخمرة يا سيد تكذب ؟!!

# مركز الدراسات الاشتراكية

7 شارع مراد . ميدان الجيزة
موقع إليكتروني: www.e-socialists.net
بريد إليكتروني: info@e-socialists.net

-